مقتطفات من كتاب زاد المعاد

هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلاة

وهذا هو الهَدْي الذي استمرَّ عليه إلىٰ أن لقي الله، لم ينسخه شيء. ولهذا أخذ به خلفاؤه الراشدون من بعده. فقرأ أبو بكر الصدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الفجر سورة[٣] (البقرة) حتىٰ سلَّم منها قريبًا من طلوع الشمس، فقالوا: يا خليفة رسول الله، كادت الشمس تطلع. فقال: لو طلعَتْ لم تجدنا غافلين![٤].

وأما الظهر فكان يُطيل قراءتها أحيانًا، حتىٰ قال أبو سعيد: «كانت صلاة الظهر تقام، فيذهب الذاهب إلىٰ البقيع، فيقضي حاجته، ثم يأتي أهله فيتوضَّأ، ويدرك النبيَّ ﷺ في الركعة الأولىٰ= مما يطيلها». رواه مسلم[١].

وكان يستفتح تارةً بـ «**اللهمَّ باعِدْ بيني وبين خطاياي كما باعدتَ بين المشرق والمغرب. اللهمَّ اغسِلْني من خطاياي بالماء والثلج والبَرَد. اللهمَّ نقِّني من الذنوب والخطايا كما ينقَّىٰ الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَس**»[٤].

وتارةً يقول: «**وجَّهتُ وجهيَ للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما**

أنا من المشركين. إنَّ صلاتي ونُسُكي ومَحْياي ومماتي لله ربِّ العالمين، لا شريك له، وبذلك أُمِرتُ وأنا أول المسلمين. اللهم أنت المَلِك، لا إله إلا أنت. أنت ربِّي، وأنا عبدك. ظلمتُ نفسي، واعترفتُ بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا[1]، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. واهدِني لأحسنِ الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرِفْ عني سيِّئَ الأخلاق لا يصرِف عنِّي سيِّئَها إلا أنت. لبَّيك وسعدَيك، والخير في يديك، والشرُّ ليس إليك. أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك»[2]. ولكن المحفوظ أن هذا الاستفتاح كان يقوله في قيام الليل.

وتارةً يقول: «اللهمَّ ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السماوات والأرض، عالمَ الغيب والشهادة؛ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختُلِف فيه من الحقِّ بإذنك، فإنَّك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم»[3].

وتارةً يقول: «اللهمَّ لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن...» الحديث، وقد تقدم[4]؛

وتـارةً يقـول: «**الله أكبـر، الله أكبـر، الله أكبـر. الحمـد لله كثيـرًا، الحمـد لله كثيرًا، الحمد لله كثيرًا. سبحان الله بكـرةً وأصـيلًا، سبحان الله بكـرةً وأصـيلًا، سبحان الله بكرةً وأصيلًا. اللهمَّ إني أعوذ بك مـن الـشيطان، مـن هَمْـزه ونَفْخـه ونَفْثه**»(٢).

وتارةً يقول: «**الله أكبر، عشر مرَّات، ثـم**(٣) **يـسبِّح عـشرًا، ثـم يحمـد عـشرًا، ويهَلّل عشرًا، ويستغفر عشرًا. ثم يقول: اللهم اغفِرْ لـي وَاهْـدِني وارزقنـي عـشرًا. ثم يقول: اللهم إني أعوذ بك من ضيق المقام يوم القيامة، عشرًا**»(٤).

وروي عنه أنه كان يستفتح بـ «**سبحانك اللهمَّ وبحمدك، وتبارك اسـمُك،**

وتعالىٰ جـدُّك، ولا إلـه غيـرك»، ذكـر ذلـك عنـه أهـل «الـسنن»(١)

ومنها: اشتماله(٢) علىٰ أفضل الكلام بعد القرآن، فإن أفضل الكلام بعـد القرآن: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»(٣). وقـد تـضمَّنها هذا الاستفتاح مع تكبيرة الإحرام.

وكان يقول: «**سبحان ربي العظيم**»(٤). وتارةً يقـول مـع ذلـك أو مقتـصرًا عليه: «**سبحانك اللهم ربَّنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**»(٥).

وكان يقول أيضًا في ركوعه: «**سُبُّوحٌ قدُّوسٌ ربُّ الملائكة والروح**»[٤]،

وتارةً يقول: «**اللهمَّ لك ركعتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ. خشَع لك سمعي وبصري ومخِّي وعظمي وعصبي**»[١]، وهذا إنما حُفظ عنه في قيام الليل.

وكان من هديه إطالة هذا الركن بقدر الركوع والسجود. فصحَّ عنه أنه كان[٥] يقول فيه[٦]: «**سمع الله لمن حمده، اللهمَّ ربَّنا لك الحمد، مِلْءَ السماوات وملءَ الأرض، وملءَ ما شئتَ من شيء بعد، أهلَ الثناء والمجد، أحَقُّ ما قال العبد، وكلُّنا لك عبد. لا مانع لما أعطيتَ، ولا معطي لما منعتَ، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ**»[٧].

وصحَّ عنه أنه كان يقول فيه: «**اللهمَّ اغسِلْني من خطاياي بالماء والثلج والبَرَد، ونقِّني من الذنوب والخطايا كما نقَّيتَ الثوب الأبيض من الدَّنَس، وباعِدْ بيني وبين خطاياي كما باعدتَ بين المشرق والمغرب**»[١].

وكان يقول: «**سبحانك اللهمَّ ربَّنا وبحمدك، اللهمَّ اغفر لي**»(١).

وكان يقول: «**سُبُّوح قُدُّوس ربُّ الملائكة والروح**»(٢).

وكان يقول: «**سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت**»(٣).

وكان يقول: «**اللهمَّ إنِّي أعوذ برضاك من سَخَطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ علىٰ نفسك**»(٤).

وكان يقول: «**اللهمَّ لك سجدتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ. سجد وجهي للذي خلقه، وصوَّره، وشقَّ سَمْعَه وبصَرَه، تبارك الله أحسنُ الخالقين**»(٥).

وكان يقول: «**اللهمَّ لك سجدتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ. سجد وجهي للذي خلقه، وصوَّره، وشقَّ سَمْعَه وبصَرَه، تبارك الله أحسنُ الخالقين**»(٥).

وكان يقول: «**اللهمَّ اغفِرْ لي ذنبي كلَّه، دِقَّه وجِلَّه، وأوله وآخره، وعلانيته وسِرَّه**»(٦).

وكان يقول: «**اللهمَّ اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما**

أنت أعلم به منِّي. اللهم اغفر لي جِدِّي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكلُّ ذلك عندي. اللهمَّ اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ. أنت إلهي[1]**، لا إله إلا أنت»**[2].

وكان يقول: «**اللهمَّ اجعل في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، واجعل لي نورًا**، أو[3]: **واجعلني نورًا»**[4].

وأمر بالاجتهاد في الدعاء في السجود وقال: «**إنه قَمِنٌ أن يستجاب لكم»**[5]. وهل هذا أمرٌ بأن يُكثِر من[6] الدعاء في السجود، أو أمرٌ بأن الداعي

ثم يقول: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، واجبُرْني، واهدني، وارزقني»**[7].

هكذا ذكر ابن عباس عنه[1]. وذكر حذيفة أنه كان يقول: «**ربِّ اغفر لي، ربِّ اغفر لي»**[2].

«التحيَّات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله»[1].

وقد ذكر النسائي[2] من حديث أبي الزبير عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ يعلِّمنا التشهُّدَ، كما يعلِّمنا السورة من القرآن: «**بسم الله وبالله، التحيَّات لله والصلوات والطيِّبات. السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله**[3]. **أسأل الله الجنة، وأعوذ بالله من النار**».

وكان ﷺ يدعو في صلاته فيقول: «**اللهمَّ إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجَّال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات. اللهمَّ إني أعوذ بك من المغرم والمأثم**»[1].

وكان يقول في صلاته أيضًا: «**اللهمَّ اغفر لي ذنبي، ووسِّع لي في ذاتي**[2]**، وبارك لي فيما رزقتني**»[3].

وكان يقول: «**اللهمَّ إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة علىٰ الرشد. وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك. وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا. وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شرِّ ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم**»(١).

وكان يقول في سجوده: «**ربِّ أعطِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها**»(٢). وقد تقدَّم ذكرُ بعض ما كان يقوله في ركوعه

فيما كان رسول الله ﷺ يقوله بعد انصرافه من الصلاة، وجلوسه بعدها، وسرعة انفتاله(٢) منها، وما شرعه لأمته من الأذكار والقراءة بعدها

كان إذا سلَّم استغفر ثلاثًا، وقال: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»(٣).

وكان يقول في دبر كلِّ صلاة مكتوبة: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كلِّ شيء قديرٌ. اللهم لا مانع لما أعطيتَ، ولا معطي لما منعتَ، ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ**»(٣).

وكان يقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كلِّ شيء قديرٌ، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه. له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن. لا إله إلا الله، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون**»(٤).

وذكر أبو داود(٥) عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ كان إذا سلَّم من الصلاة قال: «**اللهمَّ اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أسرفتُ، وما أنت أعلم به منِّي. أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر، لا إله إلا أنت**».

وذكر الإمام أحمد[٥] عن زيد بن أرقم قال: كان رسول الله ﷺ يقول في دبر كلِّ صلاة: «**اللهمَّ ربَّنا وربَّ كلِّ شيء، أنا شهيدٌ أنَّك الرَّبُّ وحدك لا شريك لك. اللهمَّ ربَّنا وربَّ كلِّ شيء، أنا شهيدٌ أنَّ محمَّدًا عبدك ورسولك. اللهمَّ ربَّنا وربَّ كلِّ شيء، أنا شهيدٌ أنَّ العباد كلَّهم إخوةٌ. اللهمَّ ربَّنا وربَّ كلِّ شيء، اجعلني مخلصًا لك وأهلي في كلِّ ساعة من الدنيا والآخرة. يا ذا الجلال والإكرام، اسمَعْ واستَجِبْ. الله الأكبر الأكبر، الله نور السماوات والأرض، الله[٦] الأكبر الأكبر، حسبي الله ونعم الوكيل، الله الأكبر الأكبر**». ورواه أبو داود.

أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال في دبر صلاة الفجر، وهو ثانٍ رجليه، قبل أن يتكلَّم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو علىٰ كلِّ شيء قديرٌ= عشر مرَّات، كُتِبت[١] له عشرُ حسنات، ومُحِي عنه عشرُ سيِّئات، ورُفِع له عشرُ درجات، وكان يومه ذلك كلَّه في حِرْزٍ من كلِّ مكروه، وحُرِس من الشيطان، ولم ينبغِ للذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله**». قال الترمذي: حديثٌ صحيحٌ.

وقد ذكر أبو حاتم في «صحيحه»[1] أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقول عند انصرافه من صلاته: «**اللهمَّ أصلِحْ لي ديني الذي جعلتَه عِصْمةَ أمري، وأصلِحْ لي دنياي التي جعلتَ فيها معاشي، اللهمَّ إنِّي أعوذ برضاك من سَخَطك، وأعوذ بعفوك من نِقْمتك، وأعوذ بك منك، لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا معطيَ لما منعتَ، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ**».

وذكر الحاكم في «مستدركه»[2] عن أبي أيوب أنه قال: ما صلَّيتُ وراء نبيِّكم ﷺ إلا سمعتُه حين ينصرف من صلاته يقول: «**اللهمَّ اغفر لي خطاياي وذنوبي كلَّها. اللهمَّ انعَشْني[3] وأَحْيِني وارزقني، واهْدِني لصالح الأعمال**

والأخلاق، إنه لا يهدي لصالحها ولا يَصْرف سيِّئَها[1] إلا أنت».

وذكر ابن حِبَّان في «صحيحه»[2] عن الحارث بن مسلم التميمي قال: قال لي النبي ﷺ: «**إذا صلَّيتَ الصبح فقل قبل أن تتكلَّم: اللهمَّ أَجِرْني من النار، سبع مرَّات، فإنك إن متَّ من يومك كتب الله لك جوارًا من النار. وإذا صلَّيت المغرب، فقل قبل أن تتكلَّم: اللهمَّ أجِرْني من النار، سبع مرات؛ فإنك إن متَّ من ليلتك كتَب الله لك جوارًا من النار[3]**».

وأوصىٰ معاذًا أن يقول في دبر كلِّ صلاة: «**اللهمَّ أعنِّي علىٰ ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك**»[2].

في هديه ﷺ في السنن الرواتب

كان ﷺ يحافظ علىٰ عشر ركعات في الحضر[١] دائمًا، وهي التي قال فيها ابن عمر: حفظتُ من النَّبيِّ ﷺ عشرَ ركعات: ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبل صلاة الصبح[٢]. فهذه لم يكن يدعها في الحضر أبدًا.

وقد روىٰ مسلم في «صحيحه»[٧] من حديث أم حبيبة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلَّىٰ اثنتي عشرة ركعةً في يوم وليلة بُنِي له[٨] بهنَّ بيتٌ في الجنة**».

وذكر ابن ماجه[١] عن عائشة ترفعه: «**من ثابر علىٰ ثنتي عشرة ركعةً من السُّنَّة، بُني له بيتٌ في الجنَّة: أربعٍ[٢] قبل الظهر، وركعتين بعد الظهر[٣]، وركعتين بعد المغرب[٤]، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر**».

ركعتين بعد الجمعة في بيته. وسيأتي الكلام علىٰ ذكر سنَّة الجمعة بعدها والصلاة قبلها عند ذكر هديه في الجمعة إن شاء الله. وهذا موافقٌ لقوله ﷺ: «**أيها النَّاسُ صلُّوا في بيوتكم، فإنَّ أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**»[١].

حديث الله لعيسى

قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «إن الله قال لعيسىٰ ابن مريم: إني باعث من بعدك أمةً إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا، ولا حلم ولا علم. قال: يا ربِّ، كيف هذا ولا حلم ولا علم؟ قال: أعطيهم من حلمي وعلمي».

عبد الله بن رواحة

فتجهز الناس وهُم ثلاثةُ آلاف، فلما حضر خروجُهم، ودَّع الناسُ أمراءَ رسولِ اللَّه ﷺ، وسلَّمُوا عليهم، فبكى عبدُ اللَّه بنُ رواحة، فقالوا: ما يُبكيك؟ فقال: أما واللَّه ما بي حُبُّ الدنيا ولا صَبابَةٌ بكم، ولكني سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقرأ آيةً مِن كتاب اللَّه يذكرُ فيها النار ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريَم: ٧١]، فلست أدري كيف لي بالصَّدَرِ بَعْدَ الوُرُودِ؟ فقال المسلمون: صحبكم اللَّه بالسلامة، ودفعَ عنكم، وردّكم إلينا صالِحين، فقال عبد اللَّه بن رواحة:

لكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحمنَ مَغْفِرَةً
وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبدَا
أَوْ طَعْنَةً بيَدي حَرَّان مُجْهِزَةً
بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأَحْشَاءَ والكَبِدا
حَتَّى يُقَالَ إذا مَرُّوا على جَدَثي
يَا أَرْشَدَ اللَّه مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدا

جعفر بن أبي طالب - ذو الجناحين

وقال رسول اللَّه ﷺ في جعفر: «إِنَّ اللَّه أَبْدَلَهُ بِيَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَ» [الهيثمي (٩/

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ

ثبت في «الصحيحين» من حديث سعيد بن جُبير، عن ابنِ عباس، قال: نزلَ قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ

مِنكُمۡۖ﴾ [النِّساء: ٥٩]، في عبد اللَّه بن حُذافة السهمي بعثه رسولُ اللَّه ﷺ في سَرِيَّةٍ [البخاري: ٤٥٨٤، ومسلم: ٤٧٤٦].

(امر ابن حذافة من معه دخول النار)

وثبت في «الصحيحين» أيضاً من حديث الأعمش، عن سعيد بن عُبيدة، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي، عن عليٍّ رضي اللَّه عنه، قال: استعملَ رسولُ اللَّه ﷺ رجُلاً مِنَ الأنصارِ على سَرِيَّةٍ، بعثَهم وأمَرهم أن يسمعُوا له ويُطِيعُوا، قال: فأغضبُوه في شيءٍ، فقال: اجمعُوا لي حَطَباً، فجمعوا، فقال: أَوْقِدُوا ناراً، فأوقَدُوا، ثم قال: ألم يَأْمُرْكُم رسولُ اللَّه ﷺ أن تسمعُوا لي وتُطيعوا؟ قالُوا: بَلَى، قال: فادْخُلُوهَا، قال: فنظر بعضُهم إلى بعضٍ، وقالُوا: إنما فَرَرْنا إلى رسولِ اللَّه ﷺ مِن النَّار، فَسَكَنَ غَضَبُهُ، وطُفِئَتِ النَّارُ، فلما قَدِمُوا على رسولِ اللَّه ﷺ ذكرُوا ذٰلِكَ له، فقال: «لَوْ دَخَلُوَها مَا خَرَجُوا مِنْهَا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ في المَعْروف» [البخاري: ٤٣٤٠، ومسلم: ٤٧٦٥]، وهذا هو

ما قاله أئمة الطب

قال بعض المتقدمين من أئمة الطب: من أراد عافية الجسم، فليقلِّلْ مِن الطعام والشراب، ومن أراد عافية القلب، فليترُك الآثام. وقال ثابت بن قرة: راحة الجسم في قلة الطعام، وراحة الروح في قلة الآثام، وراحة اللسان في قلة الكلام.

استشهاده صلى الله عليه وسلم بالسم

(استشهاده ﷺ بالسم)

ولما احتجم النبي ﷺ، احتجم في الكاهل، وهو أقربُ المواضع التي يمكن فيها الحجامة إلى القلب، فخرجت المادةُ السمية مع الدم لا خروجاً كلياً، بل بقي أثرها مع ضعفه لما يُريد اللَّه سبحانه من تكميل مراتب الفضل كُلِّها له، فلما أراد اللَّه إكرامَه بالشهادة، ظهر تأثيرُ ذلك الأثر الكامِن من السم لِيقضي اللَّه أمراً كان مفعولاً، وظهر سِرُّ قوله تعالى لأعدائه من اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البَقَرَة: ٨٧]، فجاء بلفظ كذبتم بالماضي الذي قد وقع منه، وتحقق، وجاء بلفظ: «تقتلون» بالمستقبل الذي يتوقعونه ويَنتظرونه، واللَّه أعلم.

أنواع الصبر

والصبرُ من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسدِ، وهو ثلاثةُ أنواع: صبر على فرائض اللَّه، فلا يُضيِّعُهَا، وصبر عن محارمه، فلا يرتكِبُهَا وصبر على أقضيته وأقداره، فلا يتسخَّطُهَا، ومن استكمل هذهِ المراتبَ الثلاث، استكمل الصبر، ولذةُ الدنيا والآخرة ونعيمها، والفوزُ والظفر فيهما، لا يصل إليه أحدٌ إلَّا على جسر الصبر، كما لا يصِلُ أحد إلى الجنةِ إلَّا على الصراطِ، قال عمرُ بنُ الخطاب رضي اللَّه عنه: خيرُ عيش أدركناه بالصبر.

الطب النبوي

والتحقيق في ذلك أن الأدوية من جنس الأغذية، فالأمة والطائفة التي غالبُ أغذيتها المفردات، أمراضُها قليلة جداً، وطبُّها بالمفردات، وأهلُ المدن الذين غلبت عليهم الأغذيةُ المركبة يحتاجون إلى الأدوية المركبة، وسبب ذلك أن أمراضَهم في الغالب مركَّبة، فالأدويةُ المركبة أنفعُ لها، وأمراضُ أهل البوادي والصحاري مفردة، فيكفي في مداواتها الأدوية المفردة، فهذا برهانٌ بحسب الصناعة الطبية.

فإن القلبَ متى اتصل برب العالمين، وخالق الداء والدواء، ومدبِّر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء كانت له أدويةٌ أخرى غير الأدوية التي يعانيها القلبُ البعيد منه المعرضُ عنه، وقد علم أن الأرواحَ متى قويت، وقويت النفسُ والطبيعة تعاونا على دفع الداء وقهره، فكيف يُنكر لمن قويت طبيعتُه ونفسُه، وفرحت بقُربها مِن بارئها، وأنسها به، وحُبِّها له، وتنعُّمِها بذِكره، وانصرافِ قواها كُلِّها إليه، وجمعِها عليه، واستعانتِها به، وتوكلها عليه، أن يكون ذلك لها من أكبر الأدوية، وأن توجب لها هذه القوة دفعَ الألم بالكلية، ولا يُنكر هذا إلَّا أجهلُ الناس، وأغلظهم حجاباً، وأكثفُهم نفساً، وأبعدُهم عن اللَّه وعن حقيقة الإنسانية، وسنذكر إن شاء اللَّه السببَ الذي به أزالت قراءةُ الفاتحة داء اللَّدْغَة عن اللَّديغ التي رُقي بها، فقام حتى كأنَّ ما به قَلَبَةٌ[1].

وقد روي في أثر إسرائيلي: أن إبراهيم الخليل قال: يا رَب مِمَّن الدَّاء؟ قال: «منِّي». قال: فَمِمَّن الدَّواء»؟ قال: «منِّي». قال: فَمَا بَالُ الطَّبِيبِ؟ قال: «رَجُلٌ أُرْسِل الدَّواء عَلى يَدَيْهِ».

وإذا دُقّ مع الخل والملح والعسل، ثم وضع على الضرس المتآكل، فَتَّتَهُ وأسقطه، وعلى الضرس الوجع، سكَّن وجعه،

(الهوى اكبر امراض القلب فلا بد من مخالفته)

فالهوى أكبرُ أدوائها، ومخالفتُه أعظمُ أدويتها، والنفس في الأصل خُلِقَت جاهلة ظالمة، فهي لجهلها تظن شِفاءَها في اتباع هواها، وإنما فيه تلفُها وعطبُها، ولِظلمها لا تقبل مِن الطبيب الناصح، بل تضَعُ الداء موضِعَ الدواء فتعتمده، وتضع الدواء موضع الداء فتجتنبه، فيتولَّدُ مِن بين إيثارها للداء، واجتنابها للدواء أنواعٌ من الأسقام والعِلل التي تعيي الأطباء، ويتعذَّرُ معها الشفاء. والمصيبةُ العظمى، أنها تُرَكِّبُ ذلك على القدر، فتُبرِّئ نفسها، وتلومُ ربها بلسان الحال دائماً، ويقوى اللومُ حتى يُصَرِّحَ به اللسان.

ولهذا قال عبدُ اللَّهِ بن مسعود رضي اللَّه عنه لامرأته زينب وقد اشتكت عينُها: لو فَعَلْتِ كما فَعَلَ رسول اللَّه ﷺ كان خيراً لك وأجدرَ أن تُشفي، تنضحِينَ في عينك المَاء، ثم تقولين: «أَذْهِبِ البَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، واشْفِ أَنْتَ الشَّافي، لا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاء لَا يُغَادِرُ سَقَماً» [أبو داود:

المرأة

وفي صحيح مسلم من حديث عبد اللَّه بن عمر، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاع الدُّنْيَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ» [مسلم: ٣٦٤٥].

تأييد الملائكة فى بدر

وقال أبو داود المَازِني: «إِنِّي لأَتْبَعُ رَجُلاً مِن المُشْرِكِينَ لأَضْرِبَه، إِذْ وَقَعَ رَأْسُه قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي» [حسن: احمد: ٣٧٧٨].

وجاء رجلٌ مِن الأنصارِ بالعبَّاسِ بنِ عبد المطلب أَسيراً، فقال العباسُ: إِنَّ هذا واللَّه ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح، مِن أحسن النَّاسِ وجهاً، على فرسٍ أَبْلَق ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرتُه يا رسول اللَّه، فقال: «اَسْكُتْ فَقَدْ أَيَّدَكَ اللَّهُ بمَلَكٍ كَرِيم».

حرص الصحابة على إتمام الصلاة

(حرص الصحابة على إتمام الصلاة)

وفي مرجعهم مِن غزوةِ ذات الرِّقاع، سَبَوُا امرأةً مِن المشركين، فنذَرَ زوجُهَا ألَّا يَرْجِعَ حتَّى يُهْرِيقَ دماً في أصحابِ محمَّدٍ ﷺ، فجاء ليلاً، وقد أرصدَ رسولُ اللَّه ﷺ رَجُلَيْنِ رَبِيئَةً لِلمسلمين مِن العدو، وهما عبَّادُ بنُ بِشر، وعمَّارُ بنُ ياسر، فضرب عبَّاداً، وهو قائمٌ يُصلِّي بسهمٍ، فنزعه، ولم يُبطل صلاته، حتى رَشَقَه بثلاثة أسهمٍ، فلم ينْصَرِفْ مِنها حَتَّى سَلَّمَ، فَأَيْقَظَ صاحِبَه فقال: سبحان اللَّه، هلَّا أنبهتني؟ فقال: إنِّي كُنْتُ في سُورةٍ، فكرِهْتُ أن أقطَعَهَا [احمد: ١٤٧٠٤، ورجاله ثقات].

خاصية عدد سبع

(خاصية عدد سبع)

وأما خاصية السَّبْعِ، فإنها قد وقعت قدراً وشرعاً، فخلق اللَّه عز وجلَ السماوات سبعاً، والأرضين سبعاً، والأيام سبعاً، والإنسان كمل خلقه في سبعة أطوار، وشرع اللَّه سبحانه لعباده الطواف سبعاً، والسعي بين الصفا والمروة سبعاً، ورميَ الجمارِ سبعاً

وتكبيرات العيدين سبعاً في الأولى.

وقال ﷺ: «مُرُوهم بالصَّلاةِ لسبع» [صحيح: أحمد: ٦٦٨٩، وأبو داود: ٤٩٤، والترمذي: ٤٠٧]. «وإذا صَارَ لِلْغُلام سَبْعُ سِنِينَ خُيِّرَ بَيْنَ أَبَوَيْهِ»(٢) في رواية. وفي رواية أخرى: «أَبُوه أَحَقُّ بِهِ مِنْ أُمِّهِ» وفي ثالثة: «أُمُّهُ أَحَقُّ بِهِ» وأمر النبيُّ ﷺ في مرضه أن يُصَبَّ عليه مِن سبع قِرب [البخاري: ٤٤٤٢]، وسخر اللَّه الريحَ على قوم عاد سبع ليال، ودعا النبيُّ ﷺ أن يُعينه اللَّهُ على قومه بسبع كسبع يوسف [البخاري: ١٠٠٦ ـ ٦٣٩٣]، ومثَّل اللَّهُ سبحانه ما يُضاعِفُ به صدقَة المتصدِّق بحبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة، والسنابل التي رآها صاحبُ يوسف سبعاً، والسنين التي زرعوها دأباً سبعاً، وتُضاعف الصدقةُ إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ويدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب سبعون ألفاً.

فلا ريب أن لهذا العدد خاصية ليست لغيره، والسبعة جمعت معانيَ العدد كله وخواصه، فإن العددَ شفع وتر. والشفع: أول وثان. والوتر: كذلك، فهذه أربع مراتب: شفع أول، وثان. ووتر أول وثان، ولا تجتمع هذه المراتبُ في أقلَّ مِن سبعة، وهي عدد كامل جامع لمراتب العدد الأربعة، أعني الشفع والوتر، والأوائل والثواني، ونعني بالوتر الأول الثلاثة، وبالثاني الخمسة، وبالشفع الأول الاثنين، وبالثاني الأربعة، وللأطباء اعتناء عظيم بالسبعة، ولا سيما في البحارين. وقد قال بقراط: كل شيء من هذا العالم، فهو مقدَّر على سبعة أجزاء، والنجوم سبعة، والأيام سبعة، وأسنان الناس سبعة، أولها طفل إلى سبع، ثم صبي إلى أربع عشرة، ثم مُرَاهِق، ثم شاب، ثم كهل، ثم شيخ، ثم هرم إلى منتهى العمر، واللّه تعالى أعلم بحكمته وشرعه، وقدره في تخصيص هذا العدد، هل هو لهذا المعنى أو لِغيره؟

اللَّه واجب ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البَقَرَة: ٣٧].
فلما نزلت، أرسل إليهم النبي ﷺ، فأطلقهم، وعذرهم، فجاؤوا بأموالهم، فقالوا: يا رسول اللَّه! هذه أموالنا، فتصدَّق بها عنا، واستغفر لنا، قال: «ما أُمِرْتُ أَنْ آخُذَ أَمْوَالَكُم» فأنزل اللَّه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التَّوبَة: ١٠٣]، يقول: استغفر لهم، ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التَّوبَة: ١٠٣]فأخذ منهم الصدقة، واستغفر لهم، وكان ثلاثة نفر لم يُوثقوا أنفسهم بالسواري، فأُرجئوا لا يَدرونَ أيُعذبون أم يُتاب عليهم؟ فأنزل اللَّه تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التَّوبَة: ١١٧] إلى قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التَّوبَة: ١١٨] إلى قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البَقَرَة: ٣٧] تابعه عطية بن سعد(١).

دعاء دخول المسجد

وذكر أبو داود عنه ﷺ أنه كان إذا دخل المسجدَ قال: «أَعُوذُ باللَّهِ العَظِيم، وبِوَجْهِهِ الكَرِيم، وَسُلْطَانِهِ القَدِيم، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم، فَإِذَا قَالَ ذلِكَ قال الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ اليَوْمِ» [صحيح: أبو داود:

دفاع ملكين عن النبى

(دفاع ملكين عنه ﷺ)

وقاتلت الملائكةُ يومَ أحدٍ عن رسول اللَّهِ ﷺ، ففي «الصحيحين»: عن سعدِ بن أبي وقاص، قال: «رأيتُ رَسُولِ اللَّه ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَمَعَهُ رَجُلَانِ يُقَاتِلَانِ عَنْهُ، عليهمَا ثِيَابٌ بِيْضٌ كَأَشَدِّ القِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ» [البخاري: ٤٠٥٤، ومسلم: ٦٠٠٤].

عن الغضب والشهوة

ولما كانت المعاصي كلها تتولد مِن الغضب والشهوة، وكان نهايةُ قوةِ الغضبِ القتل، ونهايةُ قوةِ الشهوة الزِّنى، جمع الله تعالى بين القتل والزنى، وجعلهما قرينين في سورة الأنعام وسورة الإسراء، وسورة الفرقان وسورة الممتحنة.

فتح قبر رجل بعد ٤٦ سنة

(حفر قبر والد جابر بعد ست واربعين سنة)

ودفن عبدَ اللَّه بنَ عمرو بن حرام، وعمرو بنَ الجموح في قبر واحد، لِمَا كان بينهُمَا مِن المحبة فقال: «ادْفِنُوا هٰذَيْنِ المُتَحَابَّيْنِ في الدُّنْيَا في قَبْرٍ واحد»[1]، ثمَّ حُفِرَ عنهما بعد زمنٍ طويل، ويدُ عبدِ اللَّه بن عمرو بن حرام على جرحه كما وضعها حين جُرِحَ، فأُمِيطَتْ يدُه عن جرحه، فانبعثَ الدَّمُ، فَرُدَّت إلى مكانها، فسكن الدم.

كُنية علىّ بن أبى طالب "أبا تُراب"

قال عبد المؤمن بن خلف الحافظ: وفي هذه الغزوة كنى رسولُ اللَّه ﷺ علياً أبا تُراب، وليس كما قال، فإن النبيَّ ﷺ: إنما كَنَّاهُ أبا تراب بعد نكاحه فاطمة، وكان نِكاحُها بعد بدر، فإنه لما دخل عليها وقال: «أيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟» قالت: خَرَجَ مُغاضِباً، فجاءَ إلى المسجد، فوجده مضطجعاً فيه، وقد لصق به التراب، فجعل ينفُضه عنه ويقول: «اجْلِسْ أبا تُرابٍ اجْلِسْ أبا تُرابٍ» [البخاري: ٤٤١، ومسلم: ٦٢٢٩] وهو أول يوم كُني فيه أبا تراب.

لن يغلبَ عُسرٌ يُسرَين

وجعل لِكل عُسْرٍ يمتحنُهم به يُسراً قبله، ويُسراً بعده، «فلن يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»

مراتب جهاد النفس

(مراتب جهاد النفس)

فجهاد النفس أربعُ مراتب أيضاً :

إحداها : أنْ يُجاهِدَها على تعلُّم الهُدى، ودين الحق الذي لا فلاح لها، ولا سعادة في معاشها ومعادها إلَّا به، ومتى فاتها عِلمُه، شقيت في الدَّارين .

الثانية : أن يُجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرَّدُ العلم بلا عمل إن لم يَضُرَّها لم ينفعها .

الثالثة : أن يُجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمِهِ مَنْ لا يعلمُه، وإلا كان مِن الذين يكتُمون ما أنزل اللَّه مِن الهُدى والبينات، ولا ينفعُهُ علمُهُ، ولا يُنجِيه مِن عذاب اللَّهِ .

الرابعة : أن يُجاهِدَها على الصبر على مشاقِّ الدعوة إلى اللَّه، وأذى الخلق، ويتحمَّل ذلك كله للَّه . فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الرَّبَّانِيينَ، فإن السلفَ مُجمِعُونَ على أن العَالِمَ لا يَستحِقُّ أن يُسمى ربانياً حتى يعرِفَ الحقَّ، ويعملَ به، ويُعَلِّمَه، فمن علم وَعَمِلَ وعلَّمَ فذاكَ يُدعى عظيماً في ملكوتِ السماوات .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي: حدَّثنا عبد اللَّه بن صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] قال: كانوا عشرةَ رهط تخلَّفوا عن رسول اللَّه ﷺ في غزوة تبوك، فلما حضر رسولُ اللَّه ﷺ أوثقَ سبعةٌ منهم أنفسَهم بسوارِي المسجد، وكان يمُرُّ النبيُّ ﷺ إذا رجع في المسجد عليهم، فلما رآهم قال: «مَنْ هؤلاء المُوثِقُون أَنْفسَهُم بالسوارِي؟» قالوا: هذا أبو لُبابة وأصحابٌ له تخلَّفوا عنك يا رسولَ اللَّه أوثقُوا أنفسَهم حتى يُطلِقَهُم النبي ﷺ ويعذرهم. قال: «وأَنَا أُقْسِمُ باللَّهِ لا أُطْلِقُهُم وَلَا أَعْذِرُهم حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُهُمْ، رَغِبُوا عَنِّي وتَخَلَّفُوا عَنْ الغَزْو مَعَ المْسلِمِينَ»، فلما بلغهم ذلك، قالوا: ونحن لا نُطْلِقُ أنفسنا حتى يكون اللَّه هو الذي يطلقنا، فأنزل اللَّه عز وجل: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]

وادٍ من ذَهَب

وفي «الصحيحين»: عن النبي ﷺ: «لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ ذَهَبٍ لابْتَغَى إِلَيْهِ ثَانِياً، وَلَوْ كَانَ لَهُ ثَانٍ، لابْتَغَى إليه ثالِثاً، ولا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلَّا التُّرابُ، ويَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» [البخاري: ٦٤٣٦، ومسلم: ٢٤١٨].

يَومُ المَزيد

وهو عندنا سيِّد الأيام، ويدعوه أهلَ الآخرة «يوم المزيد». قال: قلت يا جبريل، وما يوم المزيد؟ قال: ذلك أنَّ ربَّك عزَّ وجلَّ أعَدَّ(٤) في الجنة واديًا أفيَحَ من مسك أبيض، فإذا كان يومُ الجمعة نزل علىٰ كرسيِّه، ثم حَفَّ الكرسيَّ بمنابر من نور، فيجيء النبيُّون حتىٰ يجلسوا عليها. ثم حفَّ المنابر بمنابر من ذهب فيجيء الصدِّيقون والشهداء حتىٰ يجلسوا عليها. ويجيء أهل الغرف حتىٰ يجلسوا علىٰ الكُثُب. قال: ثم يتجلَّىٰ لهم ربُّهم عزَّ وجلَّ. قال: فينظرون إليه فيقول: أنا الذي صدَقتُكم وعدي، وأتممتُ عليكم نعمتي،

وهذا محلُّ كرامتي فسَلُوني[1]. فيسألونه الرِّضىٰ. قال: رضاي أنزَلَكم داري، وأنالَكم كرامتي؛ سَلُوني. فيسألونه الرِّضىٰ. قال: فيُشْهِدهم بالرضىٰ. ثم يسألونه حتىٰ تنتهي رغبتهم. ثم يفتح لهم يوم الجمعة[2] ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر. قال: ثم يرتفع ربُّ العزَّة، ويرتفع معه النبيون والشهداء، ويجيء أهلُ الغرف إلىٰ غرفهم. قال: كلُّ غرفة من لؤلؤة لا وصلَ فيها ولا فَصْمَ، ياقوتة حمراء، أو غرفة من زَبَرْجَدة خضراء، أبوابُها وعلاليُّها وسقائفُها وأغلاقُها منها. أنهارها مطَّردة، متدلِّية فيها ثمارُها. فيها أزواجها وخدمها. قال: فليسوا إلىٰ شيء أحوجَ منهم إلىٰ يوم الجمعة، ليزدادوا من كرامة الله عزَّ وجلَّ ونظرًا[3] إلىٰ وجهه. فذلك يوم المزيد»[4].

تواضع ابن القيم

نحن بحولِ اللَّه

نتكلم عليهما بحسب الجهد والطاقة، ومبلغ علومِنا القاصرة، ومعارِفنا المتلاشية جداً، وبضاعتِنا المزجاة، ولكنا نستوهِبُ مَن بيدهِ الخيرُ كلُّه، ونستمد من فضله، فإنه العزيز الوهَّاب.